

أحكام القرآن

@ 392 الإسكندرية وتحقيقها أنها دمشق لأنها ليس في البلاد مثلها وقد ذكرت صفتها
وخبرها في كتاب ترتيب الرحلة للترغيب وإليها أوت مريم وبها كان آدم وعلى الغراب جبلها
دم هابيل في الحجر جارٍ لم تغيبه الليالي ولا أثرت فيه الأيام ولا ابتلعت الأرض باطنها
كظاها مدينة بأعلاها ومدينة بأسفلها تشقُّها تسعة أنهار للقصبه نهر وللجامع نهر
وباقيا للبلد وتجري الأنهار من تحتها كما تجري من فوقها ليس فيها كظامه ولا كنيف ولا
فيها دار ولا سوق ولا حمام إلا ويشقه الماء ليلاً ونهاراً دائماً أبداً وفيها أرباب دور قد
مكّنوا أنفسهم من سعة الأحوال بالماء حتى إن مستوقدهم عليه ساقية فإذا طبخ الطعام وضع
في القصة وأرسل في الساقية فيجرف إلى المجلس فيوضع في المائدة ثم تردّ القصة من
الناحية الأخرى إلى المستوقد فارغة فترسل أخرى ملأى وهكذا حتى يتم الطعام وإذا كثر
الغبار في الطرقات أمر صاحب الماء أن يطلق النهر على الأسواق والأرباض فيجري الماء عليها
حتى يلجأ الناس في الأسواق والطرقات إلى الدكاكين فإذا كسح غبارها سكر الساقيان
أنهارها فمشيت في الطرق على برد الهواء ونقاء الأرض ولها باب جيرون بن سعد بن عبادة
وعنده القبة العظيمة والميقاتات لمعرفة الساعات عليها باب الفراديس ليس في الأرض مثله
عنده كان مقرّي وإليه من الوحشة كان مفرّي وإليه كان انفرادي للدرس والتقرّي وفيها
الغوطة مجمع الفاكهات ومناط الشهوات عليها تجري المياه ومنها تجنى الثمرات وإن في
الإسكندرية لعجائب لو لم يكن إلا المنار فإنها مبنية الظاهر والباطن على العمدة ولكن لها
أمثال فأما دمشق فلا مثال لها .
وقد روى معن عن مالك أن كتاباً وجد بالإسكندرية فلم يدر ما هو فإذا فيه أنا شداد بن
عاد الذي رفع العماد بنيتها حين لا شيب ولا موت قال مالك إن كان لتمر بهم مائة سنة لا
يرون بها جنازة .
وذكر عن ثور بن زيد أنه قال أنا شداد بن عاد أنا الذي رفعت العماد أنا الذي كنزت
كنزاً على سبعة أذرع لا يخرجها إلا أمة محمد